للمؤمنين إحدى الحُسْنَيَيْن

خطبة الجمعة التي ألقاها د. محمود أبو الهدى الحسيني في جامع العادلية بحلب بتاريخ 2007/7/6م

قال الله تبارك وتعالى في محكم كتابه: {إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُواْ قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمْ فَرِحُونَ، قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ، قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ} [التوبة: 51-52]

آياتٌ تعرض الحوار بين فريقٍ مادّيٍّ لا يؤمن بالله، ويفرح بمصيبة المؤمنين، ويتألم ويزداد غمًّا وقلقًا وهمًّا حينما يفوز المؤمنون بفوز.

ويعلِّم الله تبارك وتعالى فريقَ الإيمان في الحوار، ويتوجَّه الخطاب إلى إمام فريق الإيمان سيدِنا محمد صلى الله عليه وسلم، والخطاب عامٌّ: {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ}.

أنتم تنتظرون - بحسب منظوركم الذي لا تملكون غيره – أن ينالنا شيءٌ من الأذى في الدنيا، لكننا نقرأ ذلك قراءة مختلفة، فنحن ننتظر إحدى الحُسْنَيَيْن، فلا تفرحوا بمصيبتنا وضعفنا، لأننا نقرأ ما فرحتم به قراءة مختلفة.

وهذه القراءة المختلفة التي هي نصيب المؤمن من إحدى الحُسْنَيَيْن، أحببتُ أن أقف مع مضموناتها بين يدي حضراتكم في هذا الدرس المنبريّ.

ما هي الحُسنَيان التي لابدَّ - بحسب وعد الله سبحانه وتعالى - أن يصل إلى إحداها أهلُ الإيمان؟

ومن أجل أن أقدم إليكم بعضًا من هذه المضمونات، أبدأ باللغة أولاً، وأنتقل إلى الدلالات القرآنية ليفسر القرآنُ القرآنَ، فتكونُ عندها مائدتُنا عربيةً قرآنية.

الحُسنيان في اللغة مثنَّى مفردُه الحُسنى، ويرجع إلى أصلٍ لغويٍّ هو الحُسن، والحُسنُ وصفٌ لما كان حسنًا وجميلاً، فإذا وصفوا المؤنَّث بالحُسن قالوا: حَسَنَةٌ وحَسْناء، وإذا وصفوا المذكر بالحسن قالوا: حَسَنٌ وحُسانٌ وحَسِيْن، فإذا أرادوا في اللغة أن يتحدثوا عن الأفضل حُسنًا الذي ما فوقه حُسن، قالوا في المذكر: الأحسن، وقالوا في المؤنث: الحُسنى.

فالحُسنى إذًا هي التي لا يفوق حسنَها شيءٌ.

وللمؤمن إحدى الحُسْنَيَيْن، وينبغي أن نُفَرِّق الحُسنى عن الحَسَنَة، لأن الحسنة قد يوجد ما هو أحسن منها: {رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً} [البقرة: 201] أما الحُسنى فهي التي ما فوقها حسنة، فهي أعلى من الحَسَنَة بحسب الدلالات اللغوية.

فما هما الحُسنيان؟

هما حُسنى ما فوقها حَسَنَةٌ في الآخرة، وحُسنى ما فوقها حَسَنَةٌ في الدنيا.

ولا نستطيع أن نتحدث من باب الاختلاف أو الاحتمال في حُسنى الآخرة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم فسَّرها، وإذا فسَّر النبيُّ صلى الله عليه وسلم شيئًا من القرآن وبيَّنَه فقد طُوي الأمر.

جاء في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم في تفسير: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس: 26] قال: **(الحُسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الرحمن).**

فالآخرة فيها بعثٌ وحشرٌ ونشرٌ ووزن... وفيها منابرُ النور، وظلُّ العرش، وفيها ما فيها مما ورد من المسموع، لكنَّ **الحسنى في الآخرة هي الجنة التي عرضها السموات والأرض.**

فقد اتضح لنا معنى إحدى الحُسْنَيَيْن، وبقيت الحسنى الأخرى: حسنى الدنيا.

وما رأيتُ اتفاقًا عند أهل التفسير، فقد ذهب كلٌّ منهم إلى تفسير حسنى الدنيا تفسيرًا محتملاً، وفي مثل هذه الحالة أرجع إلى القرآن، لأستمد منه بعض الدلالات، واخترت منه ثلاثة مواضع ورد فيها لفظُ الحسنى، وكان القرآن يشير فيها إلى حسنى الدنيا، فرأيت أن أعتمد على هذه المواضع الثلاثة لتكون مفسِّرةً لمعنى الحسنى، وليكون المؤمن مستبينًا ومتبيِّنًا وفاهمًا لمعنى الحُسْنَيَيْن.

1- أما الموضع الأول: فهو في قوله تعالى: {وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ} [الأعراف: 137]

وإذا أطلق القرآن الكريم الكلمة على مكوَّنٍ من المكونات فإنه يريد أن يُظهر خارق عادة، فقد سمَّى المسيحَ كلمة لأنه كان انفعالاً لـــ: "كُن" فكان، ولم تكن الأسباب المعهودة ظاهرة، لكنَّ يدَ القدرة أظهرت خارق العادة، وكان التحدِّي للأسباب ظاهرًا وواضحًا، وهذا ما حصل تمامًا حينما دمَّر الله سبحانه وتعالى فرعون وجنوده وأمواله... بكلمة.

فسمَّى الله سبحانه وتعالى المسيحَ (الخارقَ للعادة في تكوينه) كلمةً، وسمَّى ذلك الحدث الذي أظهر الحقَّ فيه وسحق الباطل - مع غياب كلِّ الأسباب الماديةِ - كلمةً، ووصف تلك الكلمة بأنها الحسنى، فكان زوالُ سلطنة الباطل، وزوالُ أسرِ أهل الحقِّ، وزوالُ قهرهم وابتلائهم... موصوفًا بأنه الحسنى، أو كلمةُ الله الحسنى.

وقال سبحانه وهو يصف ذلك الحدث: {كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ، كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ} [الدخان: 25-28] بالكلمة الحسنى.

ولم يكن أحدٌ يتصوَّر زوال فرعون، لأن قوانين المادة كانت تقول: إن فرعون لا يزول، لكن الله سبحانه أزاله بكلمته الحسنى، وأخذه نكالَ الآخرة والأولى.

2- **أما الموضع الثاني الذي وردت فيه الحسنى الدنيوية في القرآن:** فهو قوله تعالى وهو يحكي حكاية ذي القرنين: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا، قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا، وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا} [الكهف: 86-88]

وكان ذو القرنين بهذا يرغِّب أهل الإيمان: {وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاء الْحُسْنَى} أي ستكون له الحسنى الدنيوية جزاءً، وكان بهذا يَعِدُ أهل الإيمان بتكريمهم، وكان يَعِدهم بعطاءٍ وأمنٍ من الخوف، وسَعَةٍ من الرزق، حتى تكون لهم الكرامة الإنسانية في أبهى صُوَرها.

3- **وأما الموضع الثالث الذي وردت فيه كلمة الحُسنى الدنيوية:** فهو قوله تعالى: {وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [التوبة: 107]

يقولون: ما أردنا ببناء هذا المسجد التفريقَ بين المسلمين، ولا الإضرار، ولا جمع المناوئين للحقِّ المحاربين لله ورسوله... بل أردنا عكس ذلك وهو الحسنى.

ومن باب التقابل نستطيع أن نفهم معنى الحُسنى المقابِل لذلك وهو: وحدةُ المسلمين، وزيادةُ إيمانهم، وجمعُ صفوف المناصرين لله ورسوله، وهو المعنى المقابل تمامًا لما فعلوه، وقد وصف الله سبحانه وتعالى ما فعلوه بقوله: {ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَه} والله سبحانه وتعالى بيَّن: {وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} فما أرادوا إلا عكس ذلك.

هم حلفوا أنهم أرادوا عكس ذلك، لكنهم ما أرادوا إلا ما بيَّنه الله سبحانه وتعالى تفصيلاً.

فيكون معنى الحُسنى من باب التقابل:

وحدةُ المسلمين، وزيادةُ إيمانهم، وجمعُ صفوف المناصرين لله ورسوله.

فإذا جمعنا ما تقدّم من الدلالات القرآنية، نستطيع أن نصل إلى معنى الحُسنى الدنيوية، فتكون الحُسنى الدنيوية: سلطانَ الحقِّ في الأرض على الباطل، وأمنَ أهل الحق في دينهم وأموالهم وأنفسهم من تسلُّط عدوهم.

فبجمع الدلالات القرآنية المتقدِّمة في المواضع الثلاثة، **معنى الحسنى التي في الدنيا: سلطانُ الحق في الأرض على الباطل، وأمنُ أهل الحق في دينهم وأموالهم وأنفسهم من تسلُّط عدوهم.**

ونكون بهذا قد فهمنا في الحوار معنى: {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ}.

هذا هو طريق أهل الإيمان، وهذه هي نتيجة أهل الإيمان، وهذا هو مآل أهل الإيمان...

فإذا كنت على الحقِّ مستقيمًا، وإذا كنت صادقًا مخلصًا، وإذا كان باطنك مُتوجِّهًا إلى الله تبارك وتعالى ولا يتلفَّت إلى العوائق... فلا تُبالِ بعدها، لأنك لابُدَّ ولابُدَّ بوعد الله ستصل إلى إحدى الحُسْنَيَيْن، فإن لم تصل - مع ثباتك واستقامتك وعدم التفاتك - إلى أن تكون سببًا من أسباب سلطان الحقِّ على الباطل، فستكون في الجنة، ولا يضيرك أن تحظى بهذه أو تلك، فقد يجمع الله لك الحُسْنَيَيْن، وقد يعطيك إحدى الحُسْنَيَيْن.

أقول هذا أيها الأخوة لأننا بحاجة إلى وضوحٍ في المقصِد، ولأن ضياع المقصد يصْرِفنا عن ثباتنا.

ضياعُ المقصد وانشغالُنا بخاصَّة أنفسنا، وانشغالنا بشؤوننا الدنيوية وحدها، سوف يجعلنا بعيدين عن إحدى الحُسْنَيَيْن.

عندما يكون الواحد منا أنانيًّا أو فرديًّا، ولا يبحث إلا عن مصلحة المادة، ولا يفهم معنى الإخلاص، ولا يتحقق بالصدق، ولا يعرف كيف يُوجّه قلبَه إلى الله... ينحرف عن طريق الاستقامة عند أقل المغريات، وعند أقل المخوِّفات.

إذا لم تصل إلى الحُسنى في الدنيا، فالحُسنى في الآخرة - التي هي الجنة - تنتظرك.

وقد وردت الحُسنى التي هي الجنة في القرآن الكريم أيضًا وفي حديثه صلى الله عليه وسلم.

فمن بعض الآيات التي وردت فيها الحسنى التي هي الجنة قوله تعالى: {لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [يونس: 26]

وقوله: {لِّلَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْاْ بِهِ أُوْلَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ} [الرعد: 18]

وقال سبحانه: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ} [الأنبياء: 101]

وقال سبحانه وتعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى} [النجم: 31]

وقال صلى الله عليه وسلم: **لَمَّا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى جَنَّةَ عَدْنٍ، خَلَقَ فِيْهَا مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ثُمَّ قَالَ لَهَا: تَكَلَّمِيْ، فَقَالَتْ:** {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ} [المؤمنون: 1]

وقال صلى الله عليه وسلم: **(لَمَوضع سَوط أحدكم في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها).**

وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: **(ما في الجنة شجرة إلا ساقها من ذهب).**

وقال صلى الله عليه وسلم: **(من يدخل الجنة ينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه).**

وقال صلى الله عليه وسلم: **(إن ريح الجنة ليوجد من مسيرة مائة عام).**

وقال صلى الله عليه وسلم: **(إن أول زمرة تدخل الجنة وجوهُهم على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على صورة الكوكب الدري في السماء، لكل رجل منهم زوجتان، يُرى مُخُّ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، واللهِ ما منهم أعزب).**

وقال صلى الله عليه وسلم: **(إن أزواج أهل الجنة ليُغنين أزواجهن بأحسن أصوات سمعها أحد قط، إن مما يغنين: نحن الخيِّرات الحسان، أزواج قوم كرام، ينظرن بِقُرَّةِ أعيان، وإن مما يغنين به: نحن الخالدات فلا يمتنه، نحن الآمنات فلا يخفنه، نحن المقيمات فلا يظعنَّه).**

وقال صلى الله عليه وسلم: **(إِنّ فِي الْجَنّةِ سُوقاً يَأْتُونَهَا كُلّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبّ رِيحُ الشّمَالِ فَتحْثِي وُجُوهَهِمْ وَثِيَابَهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْناً وَجَمَالاً، فَيَرْجِعُونَ إِلَىَ أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْناً وَجَمَالاً. فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللّهِ لَقِدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْناً وَجَمَالاً، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُنَّ، وَاللّهِ لَقَدِ ازْدَدْتُنَّ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالاً).**

وأعظم ما في الجنة، عندما يتجلى ذو الجلال والإكرام فيكشف الحجاب لهم، فيستغرقون في نعيم جماله.

أمامك إحدى الحُسْنَيَيْن، فاثبت أيها المؤمن.. فاثبت أيها الشاب.. فاثبت أيها الموظف.. فاثبت أيها التاجر..

اثبتوا على الاستقامة، فوالله إن المغريات التي تتبرَّج أمامكم لا تعدو كونها أهون عند الله من جناح البعوضة.

اللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

أقول هذا القول وأستغفر الله.